

دراسة في نقوش المساجد في لواء نابلس في أواخر العصر العثماني (دراسة تاريخية)

د. شامخ زكريا علاونه *

أ.د. نادي ساري الديك *

الملخص:

تناول البحث نقوشاً إسلامية من لواء نابلس شمال فلسطين، تعود لأواخر العهد العثماني، وهي نقوش توثيقية للمساجد التاريخية في المدينة، فهي نصوص شعرية نُظمت على شكل أبيات لا تتعدى أربعة أو خمسة أبيات شعرية، تناولت في المقام الأول التأريخ وفي المقام الثاني للمدح لمن أنشأ تلك الصروح المعمارية، علماً أن تلك الأشعار على بحور الشعر العربي المعهودة بشكل متقن وأخرى جاءت ركيكة وبعيده عن بحور الشعر المعهودة وجاء البحث على وصف المكان وذكر نص النقش وتحليله من الناحية التاريخية واللغوية والشعرية. كما تناول البحث الطرق المختلفة في عملية تأريخ تلك العمائر كحساب الجمل التي كانت سائدة آنذاك وقد يُسخر بعض الشعر لهذه الظاهر أو الخاصية ألا وهي التأريخ بالشعر.

الكلمات المفتاحية: نابلس شمال فلسطين، العصر العثماني، نقوش المساجد، شعر المدائح.

Abstract :

This research deals with Islamic inscriptions from the Nablus District in the Northern Palestine, Return back to the late Ottoman period. The inscriptions are of the historical mosques in the city. They are poetry texts organized in the form of verses that do not exceed four or five verses. Al-Amayyer Architectural, note that these poems on the spur of Arabic poetry well known and the other came thin and far from the sea of traditional poetry and the search on the description of the place and mentioned the text of the inscription and analysis of the historical, linguistic and

* - أستاذ بكلية الآداب، جامعة القدس المفتوحة/رام الله ، فلسطين .

* - أستاذ بكلية الآداب، جامعة القدس المفتوحة/رام الله ، فلسطين.

poetic, and discussed the different ways in the process of dating those uncle A camel like the calculation of sentences that prevailed then and may make fun of some of the poetry of this phenomenon or property, namely history of poetry.

Key words: Ottoman period; The inscriptions; Northern Palestine; the description; Al-Amayyer Architectural; Arabic poetry; linguistic.

مقدمة:

تُعد النقوش الإسلامية مصدرًا من مصادر التاريخ الأصيلة، غير قابلة للتحريف أو التزوير، إضافة إلى ذلك فإنها تؤرخ العمائر بشكل لا يقبل الشك، فلا يكاد أي أثر إسلامي يخلو منها، فهي وثائق تاريخية مادية، إذ حددت تلك النقوش وظائف المباني بشكل لا لبس فيه، حيث خلط المؤرخون في وظائف بعض العمائر وأسمائها إن كانت مسجداً أو سبيلاً.

غالباً ما بدأت النقوش بالبسملة، حيث نقشت بأنماط وأشكال مختلفة بالخط النسخي المحلي، بعضها معجماً وبعضها بدون إعجام، بعضها متشابك وبعضها دون ذلك، فيما جاء بعضها مورقاً ومزخرفاً وبعضها صامتاً بدون أية رتوش أو زخارف ورقية، بعضها مدت أحرفه مثل حرفي السين والشين وشددت أخرى مثل النون والتاء والفاء.

لذا تجسدت فكرة البحث من كونه يتضمن مواضيع متنوعة منها التاريخية بإقسامها المختلفة واللغوية خاصة الجانب الشعري، لذا عقد الباحثان العزم على دراسة النقوش بشقيها التاريخي والشعري، حيث أن بعضها ينشر لأول مرة ما منح الدراسة جانباً أصيلاً يضاف إلى الدراسات التاريخية والشعرية، علماً أن الدراسات التي أنجزت على تلك النقوش تاريخية لم تتناول موضوع الشعر بشكل معمق.

ترجع أهمية الدراسة في كون تلك النقوش آخذة في الإندثار، إما بسبب عوامل الزمن أو السرقة أو التدمير المتعمد، فالبتالي فهي دراسة توثيقية نقدية شعرية تحلل أنماط الكتابة الشعرية ومدى التزام ناظمها وناقشها بالبحر الشعري.

اتباع الباحثان المنهج الوصفى التحليلي للنصوص التاريخية الشعرية وبلغ عددها ثمانية نقوش ، ومن خلال دراسة محتوى النص أولاً و مدى قوة تلك النصوص أو ركاكتها من الناحية اللغوية، لذا عمل الباحثان على تطويرها تاريخياً من خلال إضافة تحليل معمق للنصوص الشعرية وهي بمجملها عبارة عن أشعار مدح وتمجيد لمن قام بعملية الانشاء والتعمير.

تناول البحث قسماً من نقوش مساجد اللواء والتي بلغت ثمانية نقوش جميعها تعود لأواخر العهد العثماني، حيث ثبتت جميع اللوحات الحجرية في الواجهة الرئيسة من المباني المعمارية لجلب انتباه الزائر أو رواد تلك المباني على حد سواء وغالباً ما وجدت في ساكف العتبة العليا للمدخل الرئيس وجاءت لوحاتها من الحجارة الرخامية البيضاء المحلية او من النوع الرديء وهي الحجارة الجيرية التي هي أكثر ليونة وتمكن الناقد كتابه أسطر الأبيات الشعرية بشكل أكثر وضوحاً.

أولاً: نقش جامع البك¹ (العن 1158هـ/1745م)

- موقع الجامع:

يقع في حارة الغرب بالقرب من قصر طوقان² وحمام الجديدة،³ ويحده من الجنوب شارع النصر⁴ ومن الجهات الاخرى بيوت سكنية ملاصقة لجهات المسجد المختلفة.

مكان النقش:

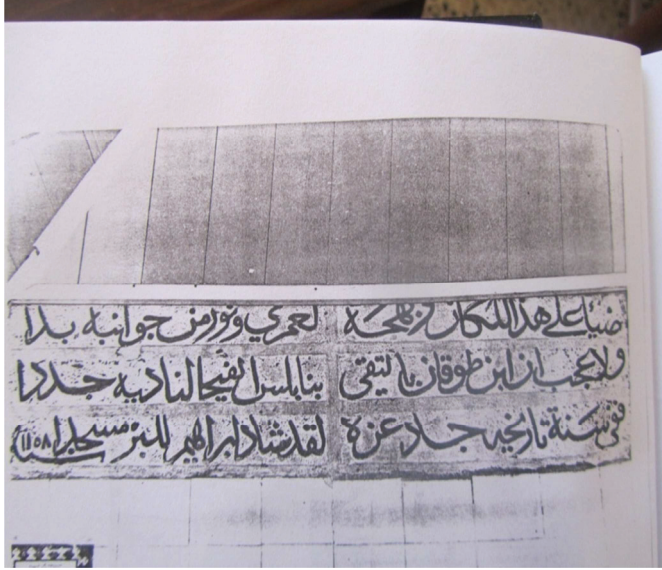
يقع النقش على الواجهة الشمالية للدعامة الشمالية الشرقية من صف الدعامات الشمالية التي تتكون من الرواق الشمالي الذي يعتبر من خلال مواد البناء والتخطيط مضاف في فترة لاحقة وهو مستحدث عن بيت الصلاة، حيث يبلغ طول اللوحة الحجرية 1.15م×30 وهي مستطيلة الشكل تتكون من ثلاثة أسطر كتبت بالخط النسخي المحلي⁵.

نص النقش:

- 1: ضياء على هذا المكان وبهجة لعمرى ونور من جوانبه بدا
- 2: ولا عجب أن أبى طوقان بالتقى بنابلس الفيحا لناديه⁶ جددا

3: ففي سنة تاريخه جاد عزه لقد شاد إبراهيم للبر مسجدا سنة 1158

النقش التأسيسي لجامع البيك: (شكل رقم 1)



تحليل النص:

يتناول النقش تجديد بناء مسجد البيك أو العين من قبل إبراهيم بن صالح باشا طوقان⁷ حيث كان الأخير حاكماً لمدينة نابلس وغزة سنة (1135هـ/1722م)، كما ذكر بأنه محافظ سنجق⁸ نابلس وعرفته على أنه ابن ابراهيم جوريجي⁹ الشهير بنسبه لطوقان زاده¹⁰. ما جعل النص يزدهي بالمدح الخاص حيث أسدل صفات جميلة مرغوبة في المدح فكانت كلمات الضياء والبهجة والنور وما تحمله من دلالات تنير المكان من جوانبه المختلفة وقد تنير القلوب ايضاً، كل تلك الصفات جاءت لتجسيد حالة النفس التي أظهرت أبْن طوقان وأظهرها هو أيضاً، ومثل هذا هذا الشعر ما هو إلا تجسيد لمناسبات قد ابتدعها الشاعر في حينه، لأنه ابتعد عن الموضوعات الشعرية الجلية.

التسمية (البيك)

تعود تسمية البيك نسبة إلى الفرع الحاكم من آل طوقان، فإن آل طوقان من الأسر الإقطاعية الكبيرة التي لعبت دوراً متميزاً في تاريخ مدينة نابلس خاصة إبان العهد العثماني في أواسط القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، حيث نابلس مقر نفوذهم، ومقر حكمهم وبيان عطائهم. في حين كان قضاء نابلس يعود لآل جرار¹¹ في الفترة التاريخية نفسها، حيث كانت مرجعية آل طوقان في إتخاذ القرارات لآل جرار في مدينة جنين، واشتهر منهم الفرع الحاكم بلقب البيك، كما كانوا يعرفون بإسم آل طوقان¹².

الجانب الشعري:

جاءت أبيات الشعر على البحر الطويل، وهي مختصة للمدح حيث خُص المدح لأبن طوقان الحاكم والمتسلم لمدينتي القدس ونابلس، علماً أن الصيغة جاءت واضحة واللغة سلسلة لا تعقيد فيها، وبالتمعن في النص فإنه لا يحمل في طياته عمقاً أدبياً ولا بعداً رؤيويّاً وإنما جاء وفق الروح السائدة آنذاك، وقد إستخدم الناقد اسم البيك كناية عن المكانة الرفيعة والسامية لشخصية ابن طوقان.

ثانياً: نقش جامع الانبياء(1176هـ / 1762م)**مكان الجامع:**

يقع الجامع في الجهة الشمالية الشرقية من حارة الحبله¹³، تُحد الواجهة الشمالية والشرقية تحدها شوارع حارة الحبله اما الجهة الغربية والجنوبية فهي ملاصقة لبيوت سكنية، اما تسميته بمسجد أو مقام او مشهد الأنبياء فتشير بعض المصادر التاريخية أن أولاد سيدنا يعقوب مدفونون في هذا المقام¹⁴، إذ أخذ مجير الدين الرواية عن عامة الناس وحسب اعتقادنا هذا غير صحيح، وإنما أطلق عليه اسم مشهد أو مقام اولاد يعقوب تيمناً بمكانة يعقوب وأولاده واعطاء المكان قداسة ورهبة وأهمية عند الناس¹⁵.

موقع النقش:

يوجد النقش فوق ساكف العتية العليا للمدخل الشمالي الجاني من المسجد بمدماك حجري واحد، ويبلغ طول اللوحة الحجرية 1.95م×25سم، وقد قسمت اللوحة إلى ثلاثة أقسام تتكون من سطرين، الجزء الغربي من اللوحة مغطى بمادة الجص ومتآكل وغير مقروء، أما ما تبقى من الكتابة فهو جزء بسيط من الجهة الشرقية من النقش.

نص النقش:

- 1: / / وافروبراعة التاريخ هذا أنادي
2: / / ندعو الأنام إلى الهدى والدين سنة 1176



نقش مدخل جامع الأنبياء:(شكل رقم 2)

تحليل النقش

أدى تأكل النص الكتابي إلى عدم معرفة محتوى النص، ولكن من خلال الكلمات المتبقية، وتاريخ النقش يمكن أرجاعه إلى الحقبة العثمانية من خلال ربط ما ذكره المؤرخ مجير الدين حيث قال " في المدينة مشهد يقال أنه لأولاد يعقوب عليه السلام¹⁶، فعبارة مجير توضح ان البناء لم يكن مسجداً في نهاية العصر المملوكي تقريباً، وعلى ما يبدو أنه كان عبارة عن مقام من غرفة واحدة وهو الجزء السفلي الحالي من المسجد، الذي مدخله من الجهة الشمالية، لذلك فإن تاريخ النقش الذي أورده جوسون¹⁷ والعسلي¹⁸ غير صحيح من أنه يعود لسنة 1176هـ، وإنما يعود للفترة التي تحدث فيها عن المقام مجير الدين الحنبلي وهي منتصف القرن العاشر تقريباً، أما بقية أجزاء المسجد فهي مضافة إلى فترات لاحقة حسب النصوص الواضحة فيها.

وبسبب عوامل الزمن وتأكل الجزء الأول من الأبيات الشعرية، لذا فقدنا الفائدة المرجوة من النص فقد إعتل النص، وبذلك القافية مختلفة فقد وجدت في البيت الأول الياء، وفي البيت الثاني النون، ومن حيث البناء العروضي نجد اختلافاً واضحاً ولا علاقة للنص بالنسق العروضي المتعارف عليه في بناء الشعر عروضياً.

ثالثاً: نقش المدخل الخارجي للمسجد الصلاحي الكبير (1149هـ/1690م)

مكان النقش وقياسات النقش:

يقع النقش أعلى الواجهة الجنوبية الغربية من المدخل المسقوف الذي يناظر المدخل الشرقي الخارجي للمسجد، كتبت بخط نسخي محلي وبشكل نافر، قسمت اللوحة الحجرية إلى خمسة مربعات متساوية من الجهة اليمنى وخمسة مربعات متساوية من الجهة اليسرى باستثناء السطر العلوي نُقش بسطر واحد فقط لأن الكاتب أراد نقش عبارة واحدة وهي البسملة أما بقية النص فهي عبارة عن أبيات شعرية تتكون من صدر وعجز واضحين. لذا تم بناء النص على ما هو عليه بشكل مقصود.

نص النقش:

- 1: بسم الله الرحمن الرحيم
- 2: إذا ما جئت نابلس فبادر
- 3: تجده عامراً يدعو بخير
- 4: سليمان المشير أمير الحج
- 5: أتي التاريخ لطفاً يا مجيد
- وَعَرَجَ نَحْوَ جَامِعِهَا الْكَبِيرِ
- وَتَأْيِيدَ لِمَوْلَانَا الْوَزِيرِ
- حَبَاهُ اللَّهُ بِالْأَجْرِ الْكَبِيرِ
- بِمَنْ أَحْيَاهُ وَأَجْزِيهِ بِخَيْرِ

تحليل النص:

النص نُظِمَ على البحر الوافر، ويقع في أربعة أبيات شعرية عدا البسملة التي إستهل بها النص، وجعلها في سطر مستقل، وهي إفتتاحية للنص، أما النص الشعري فجاء مقسماً إلى صدر وعجز تتساوى فيه التفعيلات، حيث صيغ بلغة واضحة، يضم النقش أبياتاً شعرية تؤرخ وتمجد أعمال سليمان باشا العظم الذي كان يشغل منصب وآلي الشام، الذي شغل منصب امير الحاج¹⁹ الشامي وقد توفي سنة (1155هـ/1742)، حيث كانت إمارة الحج تارة بيد حكام وولادة دمشق وتارة أخرى بيد حكام لواء مدينة نابلس²⁰. وذلك حسب مقتضيات تلك الفترة فعند تمرد ولاية الشام وتقاعسهم عن القيام بمهامهم تجاه قافلة الحاج الشامي وحمايتها، أضف إلى ذلك المنافسة بين ولاية الشام وحكام مدينة نابلس على تلك المهمة حيث كانت بيد العائلات التقليدية كعائلة فروخ وآل رضوان²¹.



نقش المدخل الخارجي للمسجد الصلاحي الكبير (شكل رقم 3)

ابناءً: نقش مدخل جامع الخضر " (1370هـ/1891م)

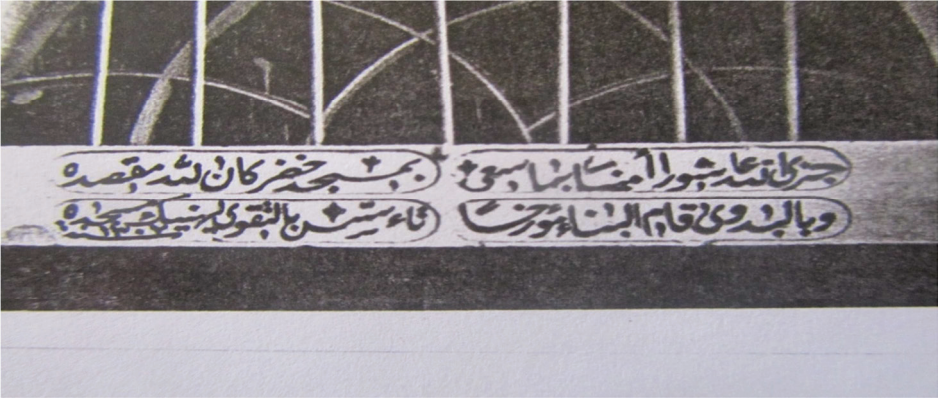
التسمية: يعود المسجد في الأصل إلى زاوية تعرف بزاوية الخضر وهو أحد أنبياء الله الذي ورد ذكرهم في القرآن الكريم، حيث نجد كثيراً من الزوايا والمقامات تنسب للأنبياء تقرباً وتكريماً، وهذه الزاوية كما تفيد سجلات محكمة نابلس الشرعية أن أمين عاشور أحد أثريا مدينة نابلس رصد في عام 1307هـ مبلغاً وقدره سبعة وعشرون ألف قرشاً لتحويل تلك الزاوية إلى مسجد وقد وكل السيد بدوي عاشور بالإشراف على المسجد كما يتضح من النص²².

موقع المسجد: يقع في حارة الغرب، عند النهاية الغربية للشارع من الجهة الجنوبية أو ما يعرف بشارع النصر من البلدة القديمة في مدينة نابلس.
مكان النقش:

يقع النقش الكتابي أعلى المدخل الشمالي للمسجد، المؤدي لبית الصلاة، يبلغ طول الشريط الكتابي 2م تقريباً بإرتفاع او عرض 50سم، حيث يتكون من سطرين من الخط النسخي المحلي المعجم.

نص النقش:

1. جزى الله عاشوراً أميناً بما سعى بمسجد خضر كان لله مقصده
 2. وبالبدوي قام البناء مؤرخاً تأسيس بالتقوى لينهيك مسجده
- سنة 1307هـ



نقش مدخل جامع الخضر (شكل رقم 4)

تحليل النص:

طريقة نقش النص مشابهة لبعض النقوش التي تعود للعصر العثماني، وهي استخدام حساب الجُمْل في التأريخ ومن خلال مقارنة حساب الجمل التي وردت في النص فهي متطابقة مع التاريخ الهجري الذي ورد في نهاية السطر الثاني من النقش. أما الجانب الشعري فقد جاء على البحر الطويل بحيث جاء كاملين غير منقوصين ولا معوجين، وقد استهلما الكاتب بالدعاء للبدوي وعاشور، فالمتبع للنص الشعري يجد ان الأفعال هي المادة الخصبة في النص وهي " جزى، سعى، كان، قام" وهذا يؤكد إبتعاد الشعراء عن الحياة وجوهرها من اعمال جليلة والإكتفاء بما وصلنا من أشعار لا تنسجم ولا تغني من جوع فهم أي هذا النوع من الشعراء يؤرخون المناسبات العادية فإبتعدوا عن الموضوعات المحلية وربما أدى ابتعاد الشعراء عن الحياة السياسية والاجتماعية إلى هوان الشعر والشعراء²³.

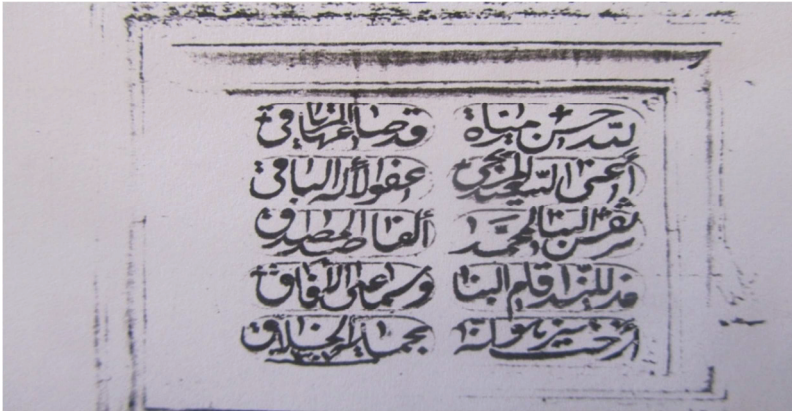
خامساً: نقش مئذنة جامع الخضر " (1307هـ / 1891م)

مكان النقش:

يوجد النقش وهو عبارة عن لوحة جيرية مستطيلة الشكل أسفل منارة المئذنة من الجهة الشمالية للمسجد، حيث تبلغ قياسات النقش 80 سم طول وبعرض 40 سم، يتكون من ستة أسطر كتبت بالخط النسخي المحلي من الشعر أما السطر السادس فهو يؤرخ بالإعداد والكتابة.

نص النقش:

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| 1. لله حسن منارة | قد صاغها المترياق |
| 2. أعني السعيد المرتجي | عفو الإله الباقي |
| 3. نقش البنا محمد | الفاصد الآفاقي |
| 4. مذ للندا قام البنا | وسما على الآفاق |
| 5. أرخت يزهو أنه | بحماية الخلاق سنة 1307 هـ |



نقش مئذنة جامع الخضر: (شكل رقم 5)

تحليل النص:

يوضح الشطر الأول من البيت الشعري ان البناء هو منارة والقصد هنا المئذنة الخاصة بالمسجد، أما الشطر الثاني فيتناول مهندس البناء أو المعماري الذي أشرف على المئذنة هو المترياق، أما البيت الثاني فيتناول الأسم الأول لهذا المهندس هو سعيد وبالتالي أصبح اسم المعماري سعيد المترياق، ومن خلال التمعن

في النص بشكل جيد نجد أن لا وجود لإسم مؤسس البناء أو المتبرع بالبناء كعادة النقوش الإسلامية بذكر عبارة جدد هذه المنارة أو المئذنة أو أنشئ هذه المنارة أو المئذنة وعلى ما يبدو أنه تم الاكتفاء بالإشارة إلى اسم معلم أو مهندس البناء، وبما أن تاريخ إنشاء المنارة بنفس السنة التي تم فيها بناء المسجد من قبل السيد أمين عاشور وبالتالي لم يذكر الإسم في اللوحتين، تجدر الإشارة إن اللوحتين في مسجد الخضر أرخت بطريقة التاريخ الهجري وتاريخ حساب الجمل مع تطابق التاريخ الرقي والتاريخ حسب الأحرف وهو حساب الجمل كما ذكرنا سابقاً. الذي يراه الشاعر عبد الرحمن بن محمد بن شاعر النحلاوي وهو الذي أخترع فن التأريخ على حساب الجمل، لأننا لم نرصد تاريخاً على هذا الحساب قبل عهده²⁴.

سادساً: نقش مسجد سبسطية²⁵ (1310هـ/1892م)

مكان النقش:

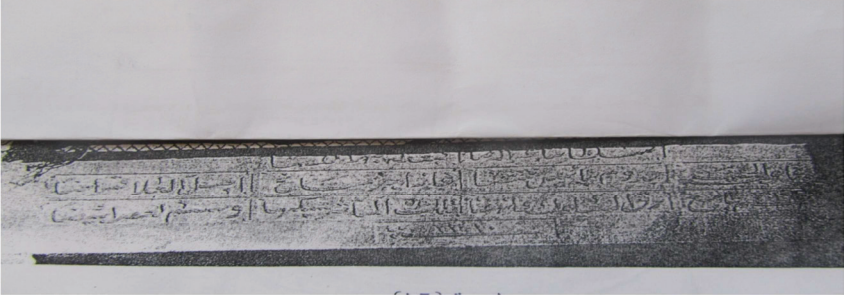
يوجد المسجد في الجهة الغربية من البلدة القديمة في بلدة سبسطية، حيث تُثبتت اللوحة الرخامية في أعلى مدخل المسجد من الجهة الخارجية، وعلى الجدار الخارجي لبوابة المسجد، ويرتفع عن أرضية البناء 2.95م، مادتها من الرخام الأزرق، مستطيلة الشكل، فيما تبلغ مساحتها 1.50م×60سم، وتتألف من ثلاثة أسطر. حفر النص في جسم اللوحة حفرافاً نافعاً، بخط نسخي عثماني بيد متدربة، إذ حرص الكاتب على إعجام الحروف إعجاماً تاماً مع وضع حركات التشكيل، كما جاء نص اللوحة متناسقاً من حيث الحروف وعددها في كل سطر، وقد زخرف النص بزخارف هندسية والتي تعد بمثابة خراطيش للوحة مع وجود أطباق رباعية حفرت من جسم اللوحة ذاتها، فقد قسمت هذه الخراطيش الأبيات الشعرية فأصبح صدر البيت الشعري داخل خرطوش مربع وعجزه كذلك، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى إهتمام الكاتب بنص النقش.

نص النقش:

1. سلطاننا عز الرضا فبعدله بهر الفضأ

2. وسما الوغا عبد الحميد بدوم بأس منتضا غاز أبر مسامح أهل العلا قمرأضا

3. فدعا لأعظم جامع رق السلوك وأنهضاً تلك المآثر سبكها وسما العصر أبيضاً
سنة 1310هـ



نقش مسجد قرية سبسطية (شكل رقم 6)

تحليل النقش:

يعود تاريخ النقش لفترة السلطان عبد الحميد الثاني (1292هـ- 1876/1327م-1900م)²⁶، ولد السلطان عبد الحميد خان بن عبد المجيد عام (1842/1258م) وأصبح سلطاناً للدولة العثمانية (1292هـ/1876م). تذكر بعض المصادر التاريخية أن من بين الأسباب التي دفعت السلطان عبد الحميد الثاني القيام بترميم مسجد سبسطية نشاط البعثات الأثرية التي كانت تقوم بأعمال التنقيب في قرية سبسطية، وقد شاع بين عامة الناس أن تلك البعثات قد سرقت قبر النبي يحيى عليه السلام، فكتب المتصرف حسين باشا متصرف مدينة نابلس آنذاك للسلطان العثماني بذلك فأمر السلطان العثماني عبد الحميد بالقيام بأعمال الترميم في المسجد²⁷. إلا أننا لا نرى صحة هذا الرأي أو دقته، وإنما إهتمام السلطان عبد الحميد بالعمارة والبناء خاصة في فلسطين هو الدافع لترميم المسجد وليس موقفه من البعثات فقط.

النص يتكون من خمسة أبيات شعرية جاءت على مجزوء بحر الكامل، حيث جعل النص في ثلاثة أسطر، جعل في البيت الأول بيتاً شعرياً من شطرين، والسطر الثاني وضع فيه بيتين متجاورين، فالنص حمل بشائر المودة والمدح والثناء، فقد أسدل الناقد كلمات مثل عزة النفس، والمتصالح مع النفس، والعدل والقوة

والشجاعة، ومخيف الأعداء، والمحارب الشرس فكل تلك الصفات المحببة ملازمة للمدوح، وقد كانت حالة التأريخ منتشرة بعد القرن الثاني عشر الميلادي لأن الشعراء بدأوا يتبعون حركة المجتمع من الزواج والوفاة أو انشاء الأبنية أو ترميمها أو إضافة قائمة إلى قصر أو سبيل ماء²⁸.

سابعاً: نقش مسجد قري دير استيا (1310هـ/1892م)

الموقع: في وسط قرية دير استيا يوجد جامع يعرف بجامع قرية دير استيا، بني المسجد من خلال ثلاثة عقود متقاطعة.

نص النقش

1. غيث الرضا فوق هذا الرمش قد هلا وبألجور حول عفواً ونال علا
2. فيه الندى كان عوناً للفقير ومن أضحت مكارمه تتلى بكل ملا
3. الصالح المتقي لله سيدنا أبا الاحمد من للمشكلات حلا
4. لما رأى أن رب العرش يملكه أجاب لما دعاه الله وامثلا
5. رجاء رضوان با... نؤرخه وجنة الخلد سنة 1310



نقش مسجد قرية دير استيا (شكل رقم 7)



نقش مسجد قرية دير إستيا (شكل رقم 8)

فالمتمعن في النص يجده لا يختلف كثيراً عن النقوش السابقة، لكنه يستخدم كلمات محببة للنفس مثل غيث الرضا فالغيث بالمجمل هو للرضا، وبيان فضل المغيث، وكأنه أراد القول أن بناء المسجد أو ترميمه هو عبارة عن غيث يلامس الوجوه ويغسل الرموش أو يجملها، لأن الرمش في موضعه يعطي العين جمالها، فشبه ضرورة الرمش للعين كما ضرورة ترميم المسجد. ويقع النص في خمسة أسطر كل سطر هو عبارة عن بيت من الشعر وجاءت الأبيات على البحر الوسيط والشعر كبقية النقوش وجد في آخر صدر البيت الآخر كلمة نؤرخه وهي إشارة البدء بعملية حساب الجمل²⁹.

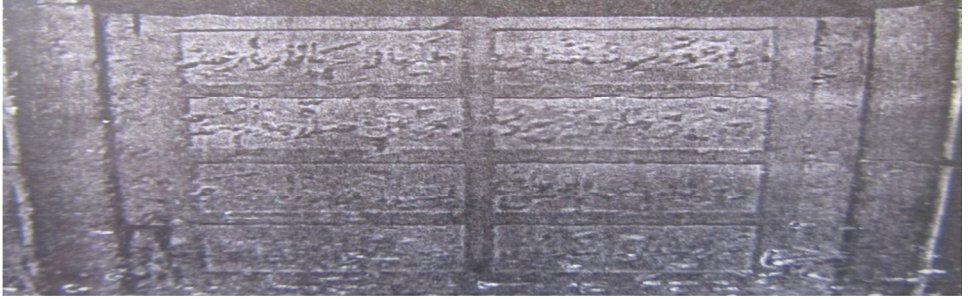
ثامناً: نقش مئذنة جامع الأنبياء (1311هـ/1912م)

مكان النقش:

يقع وسط المضلع الشرقي من قاعدة المئذنة من الجهة الشمالية، والنقش عبارة عن لوحة حجرية مربعة الشكل فيما تبلغ (50سم×50سم)، وتتكون من أربعة أسطر خطت بالخط النسخي المحلي.

نص النقش:

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| 1. منارة ذكر مولانا تعالى | عليها لاح بالأنوار مجده |
| 2. تني في علاها من ينادي | حي على الصلاة ودام سعده |
| 3. وفي تمام التمام الأنس وآفي | لمنشئها التقى زاد حمده |
| 4. مؤرخها إلى الله بناها | رجا العتق إبراهيم عبده سنة 1311هـ |



نقش منارة جامع الانبياء (شكل رقم 9)

تحليل النقش:

يعرف هذا النمط من النقوش بنمط شعر المدائح والتمجيد في النقوش التأسيسية سواء للسلطين أو الأمراء أو رجال الدين أو التجار ممن أسسوا تلك المباني على نقتهم الخاصة وغالباً ما وردت تلك المآذن بإسم منارة وليس منذنة خاصة في نهاية الفترة العثمانية فوظيفة المنارة ربما تختلف عن المنذنة قليلاً بالمفهوم المعماري والحربي ولكنها تشترك في أهداف غايتها خدمة الصالح العام، وإيصال صوت الحق إلى مسامع الناس.

صبغت الأبيات الشعرية لمآذنة جامع الانبياء على البحر الوافر، فهو نوع من المديح لا يختلف عن بقية النقوش السابقة بدءاً من السلطان والوزراء والتجار ورجال الدين غايتهم كانت العتق من النار ورجاء المغفرة والعفو من الله

الخاتمة:

لقد استنتج من خلال نقوش الدراسة أن أهالي مدينة نابلس قد حولوا عدد من المقامات إلى مساجد وذلك أمام عدم إمكانية توسيع تلك المساجد خاصة في الفترة العثمانية وذلك للزيادة الطبيعية للسكان والحاجة إلى مساحة أكبر للمصلين وقت صلاة الجمعة والأعياد، وبسبب وقوع غالبيتها داخل البلدة القديمة وملاصقة البيوت القديمة لها ما حال من تطويرها وهذا ما استدلل عليه الباحثان من خلال بعض النصوص.

وجد الباحثان أن غالبية النقوش ثبتت على الواجهة الرئيسة للمبنى المعماري، حيث يمكن لعابر السبيل مشاهدتها والانتباه لها في حالة قصد زيارة هذه المباني سواء أكان مسجداً أو سبيلاً، وقد كان الهدف من وضعها على واجهة المبنى المعماري أو مدخل المسجد أو أعلى المحراب لعملية التأريخ أولاً والإعلان عما فيها من معلومات من مدح وثناء لمن قام بإنشاء تلك العمائر.

لقد جاءت نقوش المساجد ركيكة من الناحية اللغوية والشعرية، خلّت من العناصر الزخرفية والفنية إذا ما قورنت بمساجد مدن أخرى مثل مدينة القدس أو دمشق أو غرناطة أو القاهرة، فالبتالي كون مدينة نابلس مدينة ثانوية مقارنة بمساجد عواصم الولايات، إنعكس ذلك على جمالياتها وزخرفتها فهي نقوش محلية فقيرة من الناحية الفنية واللغوية.

إتسمت نصوصها الشعرية بكلمات المدح والثناء وهي لا تتعدى أربعة أو خمسة أسطر، جافة صامتة خلّت من الألقاب الإسلامية الرئيسة واحتوت على ألقاب ثانوية مثل الأمير والماجد فهي تعكس طبيعة ومرتبة المؤسس من الناحية الاجتماعية فغالبيتهم إما من التجار ورجال الدين أو قبل بعض سلاطين إل عثمان حيث نسبت لهم تلك المنشآت ولم تكن بأمر منهم.

تضمن البحث قيمة علمية وهي تثبيت طريقة تأريخ حساب الجمل في كافة نقوش الدراسة وهي سمة ذلك العصر كوسيلة للتأريخ ومن ذلك لم يستدل أن هناك مهنة نقاش أو خطاط لتلك النقوش حيث نقشّت بأيدي مختلفة ومتقنة إلى حدّ، كما أستدل أن نقوش الدراسة لم تكتب من قبل شخص عادي مجرد للكتابة فكاتب تلك النقوش كان على علم ببحور الشعر ولكنه لم يكن متخصصاً، وبذلك لم تخرج نقوش المدينة بسمة موحدة على الأقل متشابهة، فبالتالي هذه النقوش أوضحت أن لا مهنة لناقش أو شاعر متخصص كان المُشيدون للبناء يلجأون إليه لنظم الشعر ونقشه مقابل أجر محدد ومع ذلك لم نجد فيها أخطاء عن حساب تلك الكلمات وعلى التاريخ الرقي المدون في تلك النقوش.

الهوامش:

- 1- بيك: فهو مصطلح تركي بمعنى الكبير وأصله مقصور على بيوك أي كبير، ويلاحظ أن استعمال هذا اللقب دائماً بشكل ملحق. الباشا، حسن. الألقاب الإسلامية في التاريخ والأثار والوثائق. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص235.
- 2- قصر آل طوقان: يعد قصر آل طوقان الأضخم مساحة بين قصور مدينة نابلس، وال طوقان قدموا إلى سنجق نابلس أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وقد شيد البناء زعيم ال طوقان سنة " 1210هـ/1795م، ولا زالت تعرف بقصر طوقان وهي من المعالم الرئيسة في البلدة القديمة في نابلس. عرفات، نصير. مدينة الحضارات نابلس، مركز إحياء التراث الثقافي، فلسطين، ط1، 2012، ص268.
- 3- حمام الجديدة: ويطلق عليه حمام الشفاء. يقع في شارع النصر، مقابل المدخل الجنوبي لجامع البيك، يعود تاريخ بناء الحمام إلى سنة 1736م. Mamluk. Michael Hamilton. Burgoyne, Jerusalem word of islam, festival trust, 1992, p.167
- 5- شارع النصر: يعرف بشارع النصر نسبة إلى مسجد النصر ، فترة احتلال الصليبيين لفلسطين عام 1099 تم تحويل المسجد إلى كنيسة القديس يوحنا، و بعد تحرير نابلس وفلسطين من قبل صلاح الدين الأيوبي عام 1185 تم إعادة المبنى ليكون مسجد المدينة وبقي هذا المسجد يعرف منذ ذلك التاريخ بمسجد النصر. كلبونة ، عبد الله. المساجد الإسلامية في نابلس، رسالة ما جستير غير مطبوعة، المعد العالي للآثار ابوديس 1999، ص 121.
- 6- بعلبكي، رمزي. نشأة وتطور الكتابة العربية السامية، بيروت، 1981، ص 24.
- 7- ناديه، تعني مكانه
- 8- ابراهيم طوقان: أحد علماء مدينة نابلس، تسلم متسلمية نابلس أو الديار النابلسية وقد توفي سنة (1202هـ/1787م). قام بإنشاء المدرسة الملاصقة للمسجد وغيرها من المنشآت المعمارية في مدينة نابلس. يذكران الفترة التي تسلم فيها إبراهيم طوقان الرئاسة النابلسية كانت فترة نزاع وصراع عائلي بين آل النمر وآل طوقان المتحالفين مع آل جرار في جين. أنظر: المرادي، محمد بن خليل (1206هـ/1791م) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ط2، ج1، د.ت. 1988، ص.11.
- 9- لسنجق: معناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيراً عن ثقته بأنه أهل للحكم، ثم تطورت الدلالة فأصبحت تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة، وحلت محلها الكلمة العربية لواء للمعنى نفسه بمعنى قسم إداري صaban، سهيل المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م، ص 136.
- 10- جوربجي: لقب وظيفي يتكون من جوربجي وهي كلمة فارسية معناها طاهي الطعام أو الطباخ وهي وظيفة كان يشرف عليها ضابط من الانكشارية برتبة يوزباشي (نقيب)، وكان يشرف على مراحل (غلايات) المرق. وهم عساكر الرديف بالجيش. وتنطق في العربية شوربجي. الخطيب، مصطفى عبد الكريم. معجم المصطلحات، ص130.

- 11- سجلات محكمة نابلس الشرعية، سجل 4، لسنة(1137هـ/1724م، ص224
- 12- آل جرار: من العائلات الإقطاعية في العصر العثماني. انظر "الرامي، أكرم. نابلس في القرن التاسع عشر، الجامعة الأردنية، 1977، رسالة ماجستير ص96
- 13- الشهابي، الأمير حيدر أحمد. لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، بيروت، لبنان، 1969، ج3، ص637؛ أنظر: النمر إحسان. تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص168.
- 14- تقع في الجزء الشمالي الشرقي من البلدة القديمة في مدينة نابلس
- 15- الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، 1973 ج2، ص75
- 16- كنعان، توفيق: الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين، دار الناشر، 1998، ص 183.
- 17- الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، 1973 ج2، ص75.
- 18- Jaussen, J, A. Incriptions Arabes of Naplouse, A't'tach E' Libre A'L Institut Francias Du, page, 336-372, Caire 1926
- 19- العسلي، كامل جميل. نقوش من نابلس والخليل. حولية دائرة الآثار الأردنية، المجلد 36، عمان 1992، ص 366-372.
- 20- أمير الحج: أمانة الحج ومفردها أمير الحج وهو الرئيس المنتخب أو المشرف المعين على قافلة الحج المتجه من اسطنبول إلى مكة أو مصر أو الشام إلى مكة. صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421 هـ/2000م، ص37.
- 21- النمر، إحسان. تاريخ نابلس، ج4، ص181.
- 22- المحي، محمد أمين. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، ط1، 1966، ج3، ص272.
- 23- سجل محكمة نابلس الشرعية، سجل 29 لسنة 1311هـ/1896، ص122، أنظر: النمر، إحسان. تاريخ جبل نابلس والبلقاء، جمعية عمال المطابع التعاونية، 1975، ج3، ص84.
- 24- هاشم، ياغي وآخرون. تاريخ الأدب العربي، جامعة القدس المفتوحة، ط2، 2009، ص49.
- 25- الأمير حيدر الشهابي. تاريخ الأمير حيدر الشهابي، علق على حواشيه مارون رعد، بإشراف نظير عبود، دار نظير عبود، ج2، 1993، ص1063.
- 26- تقع قرية سبسطية شمال غرب مدينة نابلس الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، 1988، ج6، ص441
- 27- كمال، احمد. السلطان عبد الحميد الثاني، مؤسسة الرسالة بيروت، 1977، ص 13-25. النمر، إحسان. مرجع سابق، ج3، ص94
- 28- حداد، جورج موسى. المدخل إلى دراسة الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني، شركة المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2012، ص151.
- 29- شيخ أمين، بكري. مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، بيروت، لبنان، 1980، ص168.